œ—«"« †Â—„"†«‰—√Í††Ã≤†[]±Ø≤± 12/31/2005 04:50 PM Page 1

في ورشة عمل لمركز الرَّأيْ للدراسات والجامعة الهاشمية

استعراض واقع وآفاق العلاقات العربية الاوروبية بعد «١١ سبتمبر»

٢ ـ ٢

عمان – د. خالد الشقران وهادي الشوبكي

قضايا مهمة تلك التي تصدت لها الجامعة الهاشمية ومركز الرأي للدراسات، وبمناسبة مرور عشر سنوات على انطلاق قمة برشلونة وهي العلاقة الأهم في العلاقات الأوروبية _ المتوسطية، وسط متغيرات جديدة شهدتها الساحة تركت تأثيراتها على العلاقة بين الجانبين خاصة قضايا الإقتصاد والإرهاب والإصلاح السياسي، والتوقف امام مفصلين رئيسين يتناولان الجرح المفتوح في كل من فلسطين والعراق، مع التركيز على العلاقة العربية _ الأوروبية، والإلتفات إلى العلاقة الأردنية _ الأوروبية.

وفيما يلي نكمل عرض الملخصات وأهم الحوارات التي دارت في ورشة العمل التي أقامها مركز الرأي للدراسات والجامعة الهاشمية:

الإعلام والصور المتبادلة

وفي جلسة الإعلام والصور المتبادلة التي ترأسها الزميل عبد الله العتوم رئيس مركز الرأي للدراسات تم تناول الصور المختلفة حول الإعلام المتبادل في سياق الاتصال بين مفهومين يكاد يخيل للمطلع من الوهلة الأولى أن ثمة تناقضاً بينهما، ولكن عندما يتم التمحيص والتدقيق في تلك الصورة نجد أن هناك تواصلاً لكنه لا يعبر عن حقيقة شكل العلاقة التي يفترض أن تكون بينهما.

لقد طغى في الإعلام الغربي ولفترة ليست ببعيدة صورة نمطية حول العربي والمسلم بأنه إرهابي ومنغمس في مسائله الحسية وانغلاق معارفه الذهنية، وبالصورة المقارنة فإن الإعلام العربي يجد مبرراً له في النظرة إلى الغرب منها الاستعماري الذي يسعى إلى تقويض كيانه السياسي والثقافي واستغلال موارده الطبيعية كالنفط وتسويق الأفكار التي لا تمتلك أرضية حقيقة لطريقة ثقافية، إضافة إلى التعامل مع العرب والمسلم بلغة فوقية تنم عن جهل حقيقي لطبيعته، حيث وجد الناس أنفسهم أمام السوبرمان الأميركي وتم التوقف أمام معادلة هامة أو مهمة تتعلق بطبيعة العلاقة المتبادلة في الإعلام هل هي "تقابلية" أم "تكاملية" من خلال منظور أن الإعلام ليس منغلقاً اليوم كونه أصبح عالمياً وأن الانفتاح الذي يشهده في عهد العولمة يبعد الصورة السلبية المتبادلة بين الإعلاميين.

إننا بحاجة إلى الموضوعية في طرح القضايا والتركيز على القضايا العالمية المشتركة كقضايا حقوق الإنسان والديمقراطية والفقر والابتعاد عن مواقف السلطة "الإعلام الرسمي" وعدم خضوع الإعلام لاحتكارات الدول الكبرى ومصالحها وبهذا فإننا نزعم بأننا نجبر الإعلام على طرح وجهات نظر مشوبة بالمصلحة وبعيدة عن الإعلام الشمولي الذي شهده الإعلامان العربي الإسلامي والغربي كذلك.

الارهاب وحق المقاومة

وفي محور الإعلام والصور المتبادلة جاءت ورقة سليمان بين عبد العزيز بين سليمان الحمدان باحث قانوني من السعوديه "الإرهاب وحق المقاومة في الفكر والإعلام الأوروبي بعد ١١ سبتمبر"، بإلقاء الضوء على محور العلاقات العربية الأوروبية من زاوية نظرة المجتمعات والحكومات الأوروبية للجماعات المسلحة وحركات المقاومة المنتشرة في العالم العربي وانعكاساتها على مسير هذه العلاقات بعد أحداث الحادي عشر من سبتمبر، وكشفت الورقة عن مسببات خارجية ذات صيغة إمبريالية ألهبت نشاط هذه الجماعات أهمها الظروف والتطورات الدولية المتعثرة في حل القضية الفلسطينية والانحياز الواضح والتام من الدول الغربية وأمريكا، لإسرائيل والاحتلال الانجلو أمريكي للعراق وهي عوامل ساهمت في قيام تنظيم القاعدة والجماعات المسلحة بنقل عملياتها إلى عمق العواصم الأوروبية.

> من الشرق الأوسط الجديد إلى الشرق الأوسط الكبير هدفه مراقبة وتغيير بنية الشرق الأوسط

وحاولت الورقة استشراف المستقبل بشأن العلاقات العربية الأوروبية من خلال ملف الجماعات المسلحة في الدول العربية والموقف الأوروبي منه وطرحت أكثر من سيناريو تتوقع إمكانية توتر العلاقات أو تجمدها أو تعميقها كما تطرقت الورقة لظاهرة "الاسلوموفوبيا" التي انتشرت في المجتمعات الأوروبية مؤخراً بوصفها من إفرازات الحادي عشر من سبتمبر فالإجراءات التعسفية والعنصرية ضد الجاليات العربية المسلمة تمثل اتجاهاً فكرياً داخل المجتمعات الأوروبية يدعو إلى طرد المهاجرين من المسلمين والعرب ويؤكد فشلهم الاندماج في المجتمع، هذا بخلاف صور الاضطهاد المادية ضد الأشخاص، والفكرية ضد الرموز الدينية كما حدث في إشكالية منع ارتداء الحجاب والزي الإسلامي في المدارس والمؤسسات التعليمية في فرنسا.

وأكدت الورقة أن الحضارة العربية الإسلامية لم تكن حاضنة للعنف على مر التاريخ، والمسؤولية تقع على عاتق القوى الإمبراطورية الراغبة في بناء قوتها على حساب الآخرين فالشعوب.

دور الإعلام في تغيير الصورة النمطية المتبادلة

وبين الدكتور حسين العودات من مركز الدراسات في سوريا في ورقته "الصورة النمطية المتبادلة عربياً وأوروبياً ودور الإعلام في تغييرها" في تشكيل صورة العرب السلبية لدى الغرب، والتي أخذت سلبياتها تتراكم في كل مرحلة تاريخية وبما يخدم مصالح القوى الاستعمارية الأوروبية، ويبرر استعمارها وهيمنتها واحتلالها لبلدان عربية... أو مواقع استراتيجية في هذه البلدان.

وأكد أن الشعوب الأوروبية ضحية دعاية القوى الاستعمارية وإعلامها، حتى كادت تتماشى مع هذه القوى، وتصبح هذه الصورة السلبية والنمطية واحدة لدى الشعوب والحكام والقوى الاستعمارية الأوروبية، فضلاً عن النخبة المتعلمة والمثقفة، مما أدى إلى شرخ عميق بين شعوب أوروبا والغرب، وإلى ردود فعل لدى العرب واستحكام عدائهم للأوروبيين. ومن هذه الصور على سبيل المثال لا الحصر أن العرب والمسلمين يتسمون (بطابع الدونية) ويتصفون (بالتعصب والعدوان والتوحيد والتوسع) وتتجاهل عدالة العرب وتسامحهم.

كما شكلت المجتمعات الأوروبية صورة نمطية وشبه جامدة عن العرب والمسلمين تشكلت أيضاً في أذهان العرب صورة نمطية سلبية مماثلة عن المجتمعات الأوروبية والقيم الأوروبية، وتكرس في ثقافة المشرق أن الغرب هو القوة والسيطرة والتحكم ولعل الأسباب الرئيسية التي ساهمت في تشكيل هذه الصورة وخلخلة إمكانيات التعاون تتلخص في:

١– الحروب الصليبية (نهاية القرن الحادي عشر حتى الرابع عشر الميلادي).

٢– مساهمة الرحالة والمستشرقين (خاصة في القرنين الثامن عشر والتاسع عشر) في تأسيس الصورة النمطية السلبية في ثقافة شعوب أوروبا تجاه العرب والإسلام.

٣– ممارسة القوى الاستعمارية الأوروبية (بين القرنين السابع عشر والعشرين) سياسة التشويه المتعمد لصورة شعوب الشرق وحضارتها وقيمتها الروحية.

٤– مساهمة رحالة عرب بالمقابل (منذ منتصف القرن التاسع عشر) في نقل صورة مشوهة عن الثقافة الأوروبية والعادات والتقاليد والقيم والمفاهيم وغيرها.

وقد أكد العودات أن مهمات كبيرة تقع على عاتق وسائل الإعلام العربية والأوروبية في مجال الحوار العربي الأوروبي، لتغيير الصورة النمطية لدى كل من الطرفين عن الآخر، من خلال:–

١– دراسة الأسباب التي ساهمت بتشكيل الصورة النمطية القائمة الآن لدى كل من الطرفين عن الآخر.

٢– يواجه الإعلام العربي صعوبات كبيرة في إيصال رسالته إلى الرأي العام الأوروبي، وكما يواجه مشكلة عدم التوازن في التدفق الإعلامي مما يكاد يصبح تدفقاً من طرف واحد هو الطرف الأوروبي.

٣– يمكن لمؤسسات الإعلام العربية استدراك كثير مما فات في التواصل والتأثير في الرأي العام الأوروبي من خلال عقد ندوات حرة يشترك فيها إعلاميون ومثقفون عرباً وأوروبيون، واستضافة صحفيين ومثقفين وكتاباً أوروبيين وغيرها من أمور.

دعاية اعلامية لتشويه صورة الإنسان العربي

وقد بين الدكتور صالح خليل أبو أصبع / جامعة فيلادلفيا / الاردن في ورقته "دور الإعلام في تزييف الرعب: الدعاية الأمريكية : اختلاق الإحداث وتشويه الصورة، غزو العراق نموذجاً" وقيام آلة الدعاية الأمريكية بعد أحداث ١١ أيلول ٢٠٠١ بإثارة روح العداء وتشويه صورة العرب والمسلمين. وفق اتجاهات:

أولاً: الحرب على أفغانستان والقضاء على حكم طالبان.

ثانياً: الحرب على القاعدة واستهداف قائدها ومنظرها أسامه بن لادن.

ثالثاً: استهداف العراق، وتصفية نظامها الذي يقوده صدام.

رابعاً: الحرب الدولية على الإرهاب.

وأضاف يمكن تحليل الخطاب الإعلامي الأمريكي خلال ثلاثة أعوام لتكشف كيف أن أدراج المسألة العراقية في الحرب ضد القاعدة والإرهاب والطالبان لم تكن سوى ذريعة استندت على تضليل إعلامي بات واضحاً أمره منذ اعترف المفتشون على أسلحة الدمار الشامل بأن لا أسلحة دمار شامل في العراق. ولعل أكثر الأمور وضوحاً صرخة الندم التي أطلقها وزير الخارجية الأمريكي باول الذي اعترف بخطأ تاريخي حين أعلن عن اقترافه الكذب في خطابه قبل الحرب على العراق.

وقد استعرضت الورقة مقولات الخطاب التي استندت إليها الدعاية الإعلامية الأمريكية في مخاطبة الرأي العام بشكل مباشر وغير مباشر بصورة أدت إلى تشويه الصورة للإنسان العربي وقادت إلى تعزيز صورته النمطية.

وأشار أبواصبع إلى أن وسائل الإعلام العالمية تعتمد على الأجندة الإعلامية الأمريكية وتستقبل وتثبت ما تقوله الدعاية الأمريكية، حيث أن النفوذ السياسي والإعلامي للولايات المتحدة يجعل منها قوة احادية ومتفردة في العالم وصاحبة الصوت الوحيد الذي يجب أن يُسمع.

وأكد من خلال تفحص الدعاية الأمريكية بأن مبررات حرب العراق كانت قائمة على معلومات مغلوطة ومضلله.

حوار أم صدام مع العرب

وبين الدكتور يوسف محمود عليمات / الجامعة الهاشمية / في ورقته "المركزية الغربية (الأوروبية) وإشكالية الحوار مع الآخر" أن مفهوم المركزية الغربية يتضمن في دلالته العميقة أبعاداً حضارية وثقافية وأيديولوجية مهمة في تاريخ الحضارة الغربية، وأن الحديث عن المركزية الغربية (الأوروبية) يضعنا في حقيقة الأمر أمام تاريخ طويل لثورات التحرر التي عاشتها أوروبا ضد التخلف الذي عاشته في ظلام العصور الوسطى، تلك العصور التي ألغت العقل، وأسهمت في تكريس معاني الظلم والخرافة والتسلط والإقطاع.

ونتيجة لهذا الصراع المرير مع مظاهر التخلف، تمكنت الحضارة الغربية من الانتصار وإثبات تميزها عن غيرها من الحضارات بفعل توظيف طاقات العقل، والإبداع العلمي، والنهج الفلسفي، مما جعلها تفرض حضوراً عالمياً لا مثيل له.

وحول المركزية الغربية "حوار أم صدام مع العرب" أكد أن العلاقة البينية (الغرب _ العرب)، تمحورت في جوانب حوارية كثيرة على الصعيد الفكري والثقافي، تعبّر في سيرورتها عن حراك شمولي جامح يهدف إلى تحقيق ضرب من المعرفة عن فكر الآخر والإفادة منه. وقد تحققت هذه الوثيقة النوعية في التقارب من خلال نزوع كثير من النقاد والأكاديميين العرب إلى الهجرة إلى أوروبا وأمريكيا، إما للعمل وإما لطلب العلم. أما حركة المركز الأوروبي نحو الشرق (الثقافة العربية)، فقد تجسّرت بشكل حواري إيجابي واع من خلال اهتمام عدد كبير من النقاد والمستشرقين الغربيين التي جذبتهم الثقافة العربية، فأقبلوا على دراسة كل ما يتعلق بالشرق من عادات وتقاليد وتراث فكري.

وقد أكد على الرغم من بروز جوانب حوارية إيجابية بين المركز الأوروبي والآخر العربي في ميادين الفكر والمعرفة في بعض الأمثلة الاستشراقية، فإننا لا نعدم وجود مضمرات سلبية ذات أبعاد سياسية وربما استعمارية، أسهمت في انعدام الثقة بين المركز (الأوروبي الغربي) والمحيط (العربي).

إن هذا الحوار في صورته السلبية يشعر المثقف العربي بتعالي المركز الأوروبي الذي يستغل قوته المركزية الشاملة علمياً وعسكرياً للهيمنة عليه، وتشويه هويته ولعل هذا الحوار في نسقيته السالبة هو الذي أحدث ثورات وصدامات بين الغرب الأوروبي والشرق العربي في مرحلة المد الاستعماري.

ويتابع الدكتور عليمات في ورقته أن الإرهاصات المستقبلية المتمثلة في الفكر الأمريكي صامويل هنتجتون من خلال كتابه "صدام الحضارات وإعادة صنع النظام العالمي" الذي صدر عام ١٩٩٦، تحولت إلى أحداث واقعية ملموسة في الزمن المعاصر. فالمركزية الغربية لا يمكن أن تحافظ على تفوقها أو أن تجدد ذاتها وتنمي مصالحها الاقتصادية إلا من خلال إثبات وجودها العسكري، وإقصائها للآخر الذي يرفض قيم الغرب أو الخضوع لسلطته، وذلك من خلال شن حروب استباقية على حد تعبير وزيرة الخارجية الأمريكية كونداليزا رايس.

تعويض الخسارة الأوروبية

وفي محور أوروبا والقضية الفلسطينية.. وضح الدكتور أحمد نوفل استاذ العلوم السياسية / جامعة اليرموك / في ورقته "دور أوروبا في العملية السلمية في الشرق الأوسط" التطور التاريخي للعلاقات العربية الأوروبية، وتطور موقف المجموعة من الصراع العربي _ الإسرائيلي، وتوجهات الاتحاد الأوروبي نحو القضية الفلسطينية وعملية السلام منذ مطلع التسعينات حتى عام ٢٠٠٥، وصولاً إلى إشراف الاتحاد الأوروبي على معبر رفح، وتدريب قوات الأمن الفلسطينية.

وبين أن العلاقات العربية _ الأوروبية ليست حدثاً طارئاً، بل تعود إلى العهود البعيدة والعصور الاستعمارية والاهتمام الأوروبي بالعالم العربي مستعرضاً أهم التطورات المباشرة في تلك العلاقات منها حملة نابليون على مصر عام ١٧٩٧ وتنافس الدول الاستعمارية على فلسطين بعد عام ١٨٤٠ وعرضها على اليهود لإقامة وطن لهم، وذلك من أجل حماية المصالح الاستراتيجية في المنطقة، ومنع قيام وحدة بين الأقطار العربية في آسيا وأفريقيا، ووصولاً إلى اتفاقيات سايكس _ بيكو عام ١٩١٧، واستعمار أوروبي مباشر للوطن العربي في المغرب والمشرق. ومساندة المشروع الصهيوني في فلسطين، ثم المشاركة في العدوان الثلاثي على مصر عام ١٩٥٦. وإلى الحوار العربي _ الأوروبي عام ١٩٧٤ والشراكة _ المتوسطية عام ١٩٩٥، إلى مشاركة الاتحاد الأوروبي في وضع خريطة الطريق مع الولايات المتحدة والأمم المتحدة وروسيا عام ٢٠٠٢، وانتهاء بموافقة إسرائيل والسلطة الفلسطينية بإشراف الاتحاد الأوروبي على تشغيل معبر رفح بين قطاع غزة ومصر.

وفي خلاصة ورقته اشار الكتور نوفل إلى أن الاتحاد الأوروبي ملتزم بتحقيق السلام في الشرق الأوسط، ويؤيد مبدأ "الأرض مقابل السلام" اعتماداً على القرارات الدولية، وخصوصاً قراري ٢٤٢و٣٣٨، وإقامة دولة فلسطينية تتمتع بالسيادة. كما أنه يرفض وجود المستوطنات في الأراضي الفلسطينية، والتغيرات التي يفرضها الاحتلال الإسرائيلي. ولهذا فإن الموقف الأوروبي من القضية الفلسطينية مرتبط بالأبعاد التالية:

أولاً: رغبة الاتحاد الأوروبي في الحفاظ على العلاقات الاستراتيجية الخاصة التي تربطه مع الولايات المتحدة، وعدم تعريضها للتوتر بسبب الشرق الأوسط. وأن تكون لتلك العلاقات الأفضلية على موقف الاتحاد في الشرق الأوسط.

ثانياً: انقسام دول أوروبا في مواقفها من القضية الفلسطينية ومن أطراف الصراع، فمنهم من يؤيد بشكل واضح وصريح الموقف الإسرائيلي كبريطانيا وهولندا وإيطاليا، ومنهم من يؤيد الجانب العربي والفلسطيني كفرنسا واليونان وبلجيكيا، ومنهم من يقف على الحياد كألمانيا وأسبانيا والبرتغال. وهذا الانقسام يضعف إلى حد كبير أي دور لأوروبا في الشرق الأوسط.

ثالثاً: عدم وجود ضغوط عربية على الجانب الأوروبي وبالذات على الدول التي تقف إلى جانب إسرائيل، والتي تتبع في سياستها الموقف الأمريكي.

رابعاً: يشجع الاتحاد الأوروبي، الحوار الفلسطيني _ الإسرائيلي، وعقد المؤتمرات المتخصصة للبحث عن حلول للمشاكل التي تواجه عملية السلام. ومحاولة خلق نوع من الثقة بين الأطراف المعتدلة بين الجانبين. كان آخرها وقوفه وراء "وثيقة جنيف".

خامساً: يلعب الاتحاد الأوروبي دور الممول المادي للجانبين الفلسطيني والإسرائيلي، من أجل أن يبقى على نفوذه في الشرق الأوسط، لكي يعوض الخسارة عن الدور السياسي المحدود الذي يلعبه، بالدور الاقتصادي الداعم لعملية السلام.

سادساً: محاولة التنسيق مع الولايات المتحدة والأمم المتحدة وروسيا للعب دور مشترك في عملية السلام في الشرق الأوسط. وهذا الموقف هو الذي أدى إلى تشكيل اللجنة الرباعية (Quarter) التي وضعت خريطة الطريق.

سابعاً: يريد الاتحاد الأوروبي أن يقوي علاقاته مع الدول العربية، والاستفادة منها في تنشيط دوره في تسوية القضية الفلسطينية، ولا يريد فصل التعاون الاقتصادي الأوروبي _ العربي عن الدور السياسي الأوروبي في الشرق الأوسط.

ثامناً: يأمل الاتحاد الأوروبي بأن تضغط الدول العربية الصديقة على الولايات المتحدة الأمريكية، لكي لا تبقى أوراق عملية السلام كلها في يدها، وأن تترك للاتحاد الأوروبي دوراً أوسع، وبذلك تخف الضغوط الإسرائيلية على الجانب الأمريكي، إذا كانت واشنطن جادة فعلاً في إيجاد حل للقضية الفلسطينية.

تاسعا: يعتبر الاتحاد الأوروبي أنه حقق اختراقاً في الموقف الإسرائيلي عندما وافقت إسرائيل على إشراف الاتحاد على معبر رفح وتدريب القوات الفلسطينية، مما يؤهله للعب دور أكبر في المستقبل بعملية السلام، بعد الانسحاب الإسرائيلي من قطاع غزة.

غزو العراق

وفي محور أوروبا والقضية العراقية اعتبر الدكتور محمد صفي الدين خربوش استاذ العلوم السياسية / جامعة القاهره / في ورقته (الموقف الأوروبي من القضايا العربية : الحالة العراقية) المواقف الأوروبية من القضايا العربية أحد المحددات الرئيسية للعلاقات العربية _ الأوروبية، حيث تنظر الدول العربية إلى أوروبا باعتبارها نصيراً محتملاً يدعم المواقف العربية لعوامل تتعلق بالقرب الجغرافي الصعيد الثقافي.

وقد مثّلت تطورات الأزمة العراقية منذ الغزو العراقي للكويت عام ١٩٩٠ عاملاً إضافياً في التأثير على العلاقات العربية _ الأوروبية، وقد انطلق من مقولة تتمثل في أن القوى الأوروبية الرئيسية _ فرنسا وألمانيا تحديداً _ قد حاولتا تقديم موقف متميز عن الموقف الأمريكي الساعي لغزو العراق وتغير نظامه السياسي بالقوة. وقد أثار هذا الموقف عداءً أمريكياً _ بريطانياً، وحماساً عربيا للموقف الفرنسي __ الألماني __ الإسباني لكن هذا الموقف انتهى بعد الحرب إلى تبني مواقف لا تختلف كثيراً عن الموقف الأمريكي _ البريطاني، وهو النمط الذي تكرر إبان حرب الخليج الثانية عام ١٩٩١ عندما سعت فرنسا لتبني موقف مغاير لكنها انتهت إلى لا شيء، وتبين أن التطورات الأخيرة في كل من القضية الفلسطينية والعلاقات السورية _ اللبنانية أن فرنسا في سبيلها للتخلي عن الموقف المتمايز نسبياً، والاقتراب من تبني المواقف المتماثلة مع الموقف الأمريكي، وربما يستمر هذا النمط في المستقبل.. وأضاف يبدو أن تطورات ونتائج السعي الأوروبي لتبين مواقف مغايرة للمواقف الأمريكية _ البريطانية.

ويصبح السؤال المحوري هل يمثل الموقف الفرنسي تجاه تطورات الأزمة اللبنانية بعد اغتيال رفيق الحريري وتماثله تماماً مع الموقف الأمريكي بداية نهج جديد في السياسة الفرنسية في الشرق الأوسط مع بروز اتجاهات أكثر يمينية داخل الحكومة الفرنسية وسيطرة اليمين الألماني على منصب المستشار؟ هذا تساؤل ستجيب عليه التطورات المستقبلية على صعيد المواقف الأوروبية من كل من العراق ولبنان والقضية الفلسطينية.

الإرتهان الأوروبي للنفوذ الأميركي

وفي محور أوروبا والقضية العراقية قدّم الدكتور حاكم المطيري / جامعة الكويت / ورقة بعنوان العلاقات العربية الأوروبية في ظل النفوذ الأمريكي، بيّن فيها أن العلاقات العربية الأوروبية تواجه في الفترة الحالية تحديات كبيرة، وتبعات خطيرة، بسبب تنامي النفوذ الاستعماري الأمريكي في العالم العربي خاصة، وفي منطقة الشرق الأوسط الإسلامي عامة، وبدعم من الحلف الأطلسي كل في أفغانستان بدعوى مكافحة الإرهاب، والعراق بحجة وجود أسلحة الدمار الشامل فيها، وما زالت هاتان الدولتان تشهدان حرب تحرير شعبية ضد الوجود الأجنبي فيها، وقد ألقت هاتان الحربان بظلالهما القائمة على العلاقات العربية الأوروبية، خاصة بعد تفجيرات مدريد ولندن، وما ترتب عليها من تداعيات زادت من حدة السخط الشعبي في كل من العالمين العربي والغربي، وتنامي العداء والكراهية من كل طرف تجاه الطرف الآخر.

وأضاف الدكتور المطيري لا يمكن التحقيق من آثار الفجوة التي ما كان لها أن تزداد على هذا النحو الخطير لولا السياسات الحكومية الغربية تجاه المشروع الاستعماري الأمريكي في المنطقة، دون معالجة موضوعية لجذور المشكلة التي يمكن تحديد أسبابها بالتالي:

أولاً: حالة الارتهان الأوروبي للنفوذ الأمريكي _ على تفاوت درجاته _ منذ الحرب العالمية الثانية.

ثانياً: غياب الإرادة الشعبية العربية الحرة الموحدة.

ثالثاً: تجاهل أوروبا للأسباب الموضوعية اللازمة.

رابعاً: خطر تنامي النفوذ الأمريكي الاستعماري.

ويرى الدكتور المطيري ضرورة قرع الأجراس، ودق نواقيس الخطر ليبادر السياسيون والمفكرون والمهتمون في العالمين العربي والغربي إلى دراسة أسباب جذور الأزمة الحالية بكل موضوعية وحيادية، ودراسة آثار هذه الحرب الجديدة على العلاقات الأوروبية العربية في ظل غياب إرادة الشعوب في كلا العالمين العربي والغربي.

وأكد الدكتور المطيري على انه كان بإمكان أوروبا تأمين مصالحها مع العالم العربي وتعزيزها وتطويرها لصالح شعوبها، دون التورط في دعم المشروع الاستعماري الأمريكي للمنطقة.

من الشرق الأوسط الجديد إلى الشرق الأوسط الكبير

وقال البروفيسور دومنينيك شفاليه / جامعة السوربون / فرنسا في ورقته حول "الشرق العربي أو الشرق الأوسط الكبير ؟ : الدول الأوروبية والعربية في مواجهة الإستراتيجية الأميركية" ليس لدينا ما نضيفه على الذي قلناه منذ ١٥ سنة حول السياسة الأمريكية تجاه الدول العربية والدول ذات الأغلبية المسلمة حيث سجلت هذه المرحلة حربين لم تنته الأخيرة بعد.

وأضاف... يفضل المفكرون السياسيون في الولايات المتحدة الأمريكية التحدث من الآن فصاعداً على الشرق الأوسط الجديد لكنهم شملوا دولاً أخرى واطلقوا تسمية أخرى هي الشرق الأوسط الكبير يهدف تغيير بنية الشرق الأوسط ومراقبته وذلك بعد انتهاء الحرب الباردة وغياب الاتحاد السوفياتي مما أكسب امريكا حق فرض نموذجها السياسي والإقتصادي والمعنوي على العالم اجمع والعيش على نفقاته.

ان المغامره الأمريكية في العراق منذ ٢٠٠٣ كانت تحمل هذه الطموحات لكنها حملت بالمقابل التناقضات وبالتالي التورطات، وهذا الوضع اثار بالتأكيد دور الإتحاد الأوروبي المتورط هو الآخر مباشرة في هذه المنطقة، اضافة إلى تركيا التي وضعت ضمن استراتيجية محورية كدولة اسيوية تابعة للشرق الأوسط الكبير لكنها لم تقبل بأقل من اشتراكها الكامل والتام مع الإتحاد الأوروبي الذي تردد في قبول ترشيحها لكنها تستفيد من دعم الولايات المتحدة، وفي حال دخولها الإتحاد الأوروبي (أي تركيا) فإنها لن تصبح سوى تحدياً للشرق الأوسط الكبير.

أما المطالبات الكردية فانها مشكلة لاوروبا الداخلية وكذلك الحدود الأوروبية مع جمهوريات القوقاز وايران والعراق وسوريا.

اتفاق اوروبا واميركا على عدة ملفات

ومن خلال الحديث عن السياسة الأمريكية وأثرها على العلاقات العربية الأوروبية، وضح الدكتور غسان العزي / الجامعة اللبنانية / في ورقته "العلاقة الأوروبية _ الأمريكية الجديدة والشرق الأوسط، الموقف الأوروبي من أزمات الشرق الأوسط: العراق وفلسطين، والمشروع الأمريكي حول : الشرق الأوسط الكبير" وردود الفعل عليه، "والشرق الأوسط الكبير بين الأطلسه والأوربه، وسيناريوهات المستقبل".

وقد تعرض الدكتور العزي في ورقته لرد الفعل الأوروبي على المشروع الأميركي المتعلق "بالشرق الأوسط الكبير" وأهدافه المعلنة قريباً، على حد كبير، من ردود الفعل العربية الرسمية وغير الرسمية.

وقد دفعت ردود الفعل هذه الأميركيين الذين يعانون من صعوبات جمة سياسية وعسكرية في العراق المحتل إلى توجيه إشارات إيجابية إلى الأمم المتحدة والاتحاد الأوروبي وكذلك على حلف الأطلسي الذي كان قد وضع الشرق الأوسط على أجندته منذ العقد المنصرم (بل أن قمة الأطلسي في براغ، عام ٢٠٠٣، حملت عنوان "الشرق الأوسط الكبير".

وهكذا في قمم إيرلندا أو جماعة الثمانية في سي _ آيلند ثم استنامبول في شهر يونيو / حزيران ٢٠٠٤ تم الاتفاق بين الأوروبيين والأميركيين على ملفات عديدة كانت موضع خلافات وتباينات ومنها ملف الصراع الفلسطيني _ الإسرائيلي، وقد رأى الدكتور العزي أن بوش الابن اقتنع أن حل الصراع الفلسطيني _ بات ضرورياً للانتصار في الحرب على الإرهاب.

ومن الملفات التي تم الاتفاق عليها بين الأوروبيين والاميركيين الاحتلال الأمريكي للعراق من منظور مشروع "الشرق الأوسط الكبير" الذي بات منذ ذلك الحين مشروعاً مشتركاً بين ضفتي الأطلسي. وبعد أقل من شهرين على هذه القمم، وتحديداً في بداية سبتمبر / أيلول الماضي، صدر القرار ١٥٥٩ عن مجلس الأمن الدولي بتحريض أميركي _ فرنسي، وهو قرار سوف يترتب عليه تغير جذري في كل المشهد السياسي اللبناني ومنه تنطلق التداعيات لتطاول الخارطة الإقليمية برمتها.

وأكد الدكتور العزي انه بعد فشل "النموذج العراقي بنشر الديمقراطية في كل المنطقة العربية والإسلامية، وبعد عجز الأحادية الأميركية عن كسر "معسكر السلام" الأوروبي وعن تحقيق اهدافهما المعلنة والمضمرة في العراق وفلسطين، اقتنعت البرغماتية الأميركية بضرورة إشراك الحلفاء الأوروبيين عبر تحملهم بعض الأعباء في مسار تنفيذ المشروع الذي وضعه المحافظون الجدد خلال العقد الماضي قبل وصولهم إلى السلطة. ووافقت فرنسا، على الانخراط في هذا المشروع الذي أريد للبنان أن يكون منطلقاً له هذه المرة وليس العراق على خلفية انسحاب سوري تمهيداً لنزع سلاح حزب الله وتحقيق عدد من الأهداف الإقليمية والدولية.

> نهج جديد للسياسة الفرنسية في الشرق الأوسط مع بروز اتجاهات أكثر يمينية داخل الحكومة الفرنسية وسيطرة اليمين الألماني

لكن الاتفاق الأمريكي _ الأوروبي الظاهر حول الشرق الأوسط لا يمنع الخلافات المستمرة بين ضفتي الأطلسي حول ملفات وأزمات دولية عديدة فضلاً عن الاختلاف في الرؤية للنظام الدولي الذي تريده فرنسا _ وعدد من شركائها الأوروبيين _ في حين تصر واشنطن على بنائه بطريقة أحادية في العمق وتعددية في الظاهر فحسب عبر تحميل الحلفاء بعض الأعباء والمهام. هكذا فقد تعود هذه الخلافات لتعبر عن نفسها من جديد حيال الموقف من النظام السوري وحيال حزب الله السلاح ولموضعه الجديد في ساحة الصراع اللبناني الإسرائيلي وحيال مسار التسوية السلمية للصراع العربي _ الإسرائيلي بعد الانسحاب الإسرائيلي الأحادي من غزة، وبالطبع حول الملف النووي الإيراني.

وفي حال عودة هذه الخلافات للتعبير عن نفسها بطريقة أو أخرى وفي حال تعرضت العملية السلمية الفلسطينية _ الإسرائيلية إلى تعثر محتمل عقب الانسحاب الإسرائيلي من غزة فإن عملية خلط أوراق جديدة سوف تحدث في المنطقة التي تبقى أبوابها مفتوحة على كل الاحتمالات، مثل الفدراليات المؤدية إلى التقسيم (المشروع الإسرائيلي) والتي بدأت إشارتها بالظهور في العراق وفي لبنان، أو الفوضى وهي نظرية يؤمن بها كثيرون في مركز صنع القرار في واشنطن.

الحرب على العراق زاد من الاضطرابات

من جهته وصف الدكتور هابيل جوشن هيبلر الأستاذ المحاضر في جامعة دايسبورغ \ايسن\ألمانيا في ورقته "العراق كعامل فاعل في سياسات الشرق الأوسط" العلاقة بين الدول الغربية و المتوسطة بأنها صعبة منذ عقود طويلة من حيث الإرث و الاختلافات الكبيرة اقتصاديا و درجات التطور و الأنظمة السياسية و الحضارية السائدة في المنطقتين.

و قال خلال ورقته بعنوان العراق كمفتاح رئيسي في العلاقات الغربية المتوسطية يتفق المحللون السياسيون أن الإسلام و المسيحية لا يقران العنف حيث أن الغالبية _كما يشاع– يرجعون العنف لأسباب دينية.

و أضاف لقد ساهمت الحرب في العراق في ازدياد الاضطرابات التي كانت من ضمن المبررات للولايات المتحدة و بريطانيا لخوض الحرب على العراق مع أنها غير مبنية على أساس واضح و صريح، تلك الحرب التي تمخضت نتائجها عن مزيد من العنف و عدم الاستقرار الإقليمي.

و عزا ذلك لسببين رئيسين: الأول الانقسام الواضح بين أمريكا و بريطانيا و ايطاليا و آخرون على جانب (أوروبا القديمة) و باقي الدول الغربية الذين يعارضون هذه الحرب مشيرا إلى أنها ليست بين الغرب و العالم الإسلامي لان انعدام الثقة بين الطرفين و الضحايا الرئيسيين الذين سقطوا أثارت الغضب في العديد من الدول.

و حدد الدكتور هيبلر عدة عناصر اعتبرها ضرورية للخروج من هذا المأزق منها:

استقرار العراق وفق نظام حكم يديره عراقيون و حل المشكلة الفلسطينية و التعاون الأوروبي المتوسطي في مجال الاحتياجات و رغبات السكان إضافة إلى الحوار و تبادل الآراء مطالبا ممثلي الغرب و الشرق التنازل عن بعض مقاييسهم المعهودة.

المطالبة بعقد ورشة عمل للحوار العربي العربي

ومن جانبه توقف دولة الأستاذ عبد الرؤوف الروابدة رئيس جلسة أوروبا و القضية العراقية أمام مفصل هام و ملفت للنظر عندما أعلن مع نهاية الجلسة بان العلاقات العربية الأوروبية يشوبها خلل قاتل كون أوروبا تتعامل مع دول العالم العربي بشكل ثنائي دون شمولية في الرؤية، فمثلا تتعامل مع القضية العراقية و الفلسطينية سياسيا و اقتصاديا كونها المفصل الأكثر سخونة و مع باقي دول العالم العربي اقتصاديا من خلال التبادل التجاري و المساعدات الاقتصادية و الفنية و الإدارية.

عندها طالب السيد الروابدة بعقد ورشة عمل شبيهة بهذه تخصص للحوار العربي لعل و عسى أن تتعامل المجموعة العربية كوحدة واحدة مع دول الاتحاد الأوروبي لتكون الجدوى أكثر أهمية و منفعة.

المصالح المشتركة تفرض نفسها لتعزيز العلاقات الأوروبية _ العربية

وقد اختتمت الورشه بطرح تساؤل كبير : وماذا بعد ؟ وتصدى لذلك الكاتب والمحلل والمفكر الفرنسي "إريك رولو"، فقد قدم رؤيته لمستقبل العلاقات العربية الأوروبية، وقال هناك مصالح مشتركة تربط شمال المتوسط بجنوبه، وهذه المصالح قوية ومترابطة ومتشابكة، فأوروبا تعتمد على مستورداتها من الخليج العربي (تستورد ٥٠ من احتياجاتها من الخليج العربي) والعكس صحيح، وأضاف حتى أثناء المرحلة الاستعمارية الكولونيالية نشأت علاقات متواصلة ولو كانت بسيطة إلا انها تركت اثاراً هامة على العلاقة بين الطرفين.

وأشار إلى تميز الموقف الأوروبي من القضية الفلسطينية، لكن ليس هناك مبادرات أوروبية نحو القضية الفلسطينية ويعود السبب في ذلك إلى الحظر الأمريكي على الأوروبيين التدخل في الشؤون السياسية في الشرق الأوسط، والإتحاد الأوروبي لا يستطيع أن يتخذ أي خطوة نحو إيجاد حل في هذا الاتجاه إلا بموافقة واش